

الشعر الإسلامي واستلها م قيم الانتفاضة

- ✿ المبحث الأول: الابهاج بالانتفاضة والأمل بالنصر والعودة.
- ✿ المبحث الثاني: رثاء الشهداء وتهيؤ الموت في سبيل العقيدة.
- ✿ المبحث الثالث: الحل الإسلامي هو الطريق لإنقاذ فلسطين.

oboeikandi.com

مقدمة

في ((٨ كانون الأول ١٩٨٧م، وأثناء عودة عمال قطاع غزة خرجت مقطورة من مستوطنة ((إيريز)) وانحرفت إلى الشارع الموازي لتحطم سيارتين مما أدى إلى مقتل عدد من الفلسطينيين من مخيم جباليا، وجرح آخرين))^(١).

وبعد هذا الحادث دعا الشباب المسلم كافة سكان المخيم للمشاركة في جنازة الشهداء. وتحولت إلى مظاهرة قادها شباب حركة المقاومة الإسلامية^(٢).

فكانت هذه الحادثة ((الشرارة التي أشعلت الفتيل، بقرار حركة المقاومة الإسلامية، بتصعيد الانتفاضة المباركة))^(٣).

واستمرت التظاهرات قوية صامدة بالرغم من الممارسات القمعية من قبل الجيش الإسرائيلي^(٤).

(١) القضية الفلسطينية من منظور إسلامي: ١٧٣.

(٢) انظر الانتفاضة المباركة ومستقبلها: ٥٢.

(٣) المرجع السابق: ٥٣.

(٤) انظر القضية الفلسطينية من منظور إسلامي: ١٨٤- وانظر: تفصيل ذلك في المبحث الثاني من

المبحث الأول

الابتهاج بالانتفاضة والأمل بالنصر والعودة

تُعَدُّ الانتفاضة في الأرض التي بارك الله فيها للعالمين نقطة تحول مهمة وبارزة في التاريخ الفلسطيني. فقد أحييت الأمل في وجود أمة ظن كثير من الناس أنه أهيل عليها التراب منذ زمن طويل، إلا أنها باقية وستظل كذلك إذا رجعت إلى شريعته وأشعلت جذوتها في قلوب المسلمين كافة؛ ليصبحوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

فجاءت الانتفاضة مفاجئة القاصي والداني، بعظمة أولئك الأبطال الذين أنطقوا الحجر ليعلن نقمته على الصهاينة، ويذيقهم الموت في حين عجزت الدبابات والطائرات العربية عن إطلاق قذائفها للذود عن حياض المقدسات. فما أروع شجاعتهم واحتسابهم لأرواحهم عند الله جلَّ شأنه: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠/٢٢].

وقد كان العدو يعتقد أن هذه الثورة الجهادية ما هي إلا سحابة صيف سرعان ما تنقشع، إلا أن أبطال الانتفاضة أثبتوا للعالم كله أن هذه الأمة لن تموت مهما كانت الظروف قاسية. فاستمرت الانتفاضة قوية شاملة متصاعدة ذات روح جهادية لا تعرف الخوف ولا اليأس ولا الأهداف الآنية المحدودة. وقد

تطورت أسلحة الأبطال من حجارة إلى مقاليع إلى قنابل غاز وزجاجات حارقة وسكاكين^(١).

وقد حفل الشعر الإسلامي بعدد من القصائد حول هذا الموضوع، فكانت هناك مؤلفات بأكملها تتحدث عن الانتفاضة وعن أبطال الحجارة، ومنها: ديوان الانتفاضة للشاعر الناقد أحمد عبد الرزاق الخاني^(٢)، وقد ضم هذا الكتاب بين دفتيه عديداً من القصائد التي قيلت في الانتفاضة المباركة، ومنها قصيدة المؤلف نفسه، بعنوان: لغة الحجارة^(٣):

ذكرى حراب الغادرين	هتفت على الوتر الحزين
فتمرد الإصراع يز	أر بالعرين المستكين
من نفحة الخدّ الندي	سرى عبير الظافرين
تعطي دماؤهم أكا	ليل الكرامة كل حين
فإذا الجهاد يشب من	شفق الهداة الباسلين
وإذا بأحفاد الملا	حم في الوغى مستبسلين

يصور الشاعر اشتعال جذوة الانتفاضة والدوافع التي أضرمتها. فحراب الغادرين التي ما فتئت تغرز في أجساد أبناء فلسطين هي التي فجرت الثورة.

(١) انظر: ملف الانتفاضة: ٧٠-١٢٥.

(٢) أحمد عبد الرزاق الخاني: ولد في حماة وبدأ دراسته فيها، ثم حصل على الشهادة الجامعية في اللغة العربية وعلوم التربية في جامعة دمشق، عمل في التدريس في سورية والسعودية وما يزال حتى الآن. له مؤلفات عديدة في الشعر والنقد وأدب الأطفال، انظر ديوان الشاعر: لحن الجراح.

(٣) ديوان الانتفاضة، دراسة أحمد الخاني: ١٠.

فسالت الدماء الزكية فداءً للمقدسات ولكرامة المسلمين، وانطلق أحفاد الملاحم إلى المعارك حاملين أرواحهم على أكفهم.

ثم يعبر الشاعر عن إسلامية المعركة لأن الطريق إلى النصر إنما يمر عبر القوة ومن خلال الالتزام بكتاب الله، فيجعل الشاعر سورة الأنفال وما فيها من أمور الجهاد رمزاً للالتزام بالمنهج القويم^(١):

وتفجر البركان يثـ	أرُّ من جنونِ الغاصبينُ
فإذا بأبطالِ الحجـ	رةٍ للمنيّةِ باسمينُ
الرعبُ؟ مات الرعبُ في	دربِ الأبـاةِ الثائرينُ
رضعوا الشهامةَ بالإبـ	ءِ زكـا بـيذلِّ الناهضينُ
وهوى الفؤادُ على جسـ	رِ الموتِ هزَّ الراقدينُ
فأعادهم أسداً تزمـ	جرُّ في وجوهِ الحاقدينُ

ويختتم الشاعر القصيدة بإسباغ الحياة على الأقصى وقبة الصخرة فيراهما مستبشرين بهذه الوثبة الجهادية. يقول^(٢):

فالمسجدُ الأقصى بدا	بالبذلِ وضّاءَ الجبينِ
والقبةُ الشمّاءُ تبـ	سم عبر موجٍ من أنينِ
لغةُ الحجارةِ ترجمتُ	إحساسَ شعبٍ لا يلينِ
صرختُ تقول لأمتي:	هذا طريقُ الخالدينِ

(١) ديوان الانتفاضة: ١٣.

(٢) ديوان الانتفاضة: ١٤.

ويضم هذا الديوان قصيدة للشاعر عبد الرحمن العشماوي يستهلها بقوله^(١):

أبتاه ما زالت جراحی تترّفُ والليلُ أعمى والمدافعُ تقصفُ
وبعد هذا المطلع الباكي يبرز الشاعر صوراً من المعاناة المريرة على لسان
الطفل الفلسطيني، ثم يبدأ في تصوير الانتفاضة بعد أن مهد لها بذكر الدوافع^(٢):

ها نحن يا أبتي نعيدُ لقومنا شرفَ الدفاعِ عن الحمى ونشرفُ
طال انتظارُ صغارِكم فتحركوا لما رأوا أن الكبارَ توقفوا
وتلفتوا نحو السلاحِ فما رأوا إلا الحصى من حولهم تتلهفُ
عزفوا بها لحنَ البطولةِ والحصى في كفٍّ من يأبى المذلةَ تعزفُ

يعبر الشاعر على لسان الطفل الفلسطيني عن ابتهاجه بالانتفاضة لكونها رمزاً
للإباء والعزة. فالصغار تحركوا حين توقف الكبار، والحجارة تتلهف إلى الأيدي
المجاهدة لتعزف بها لحن البطولة.

ويتابع الشاعر قصيدته معبراً عن عدالة قضية أولئك الأبطال الذي غدت
الحجارة لغتهم، بعد أن أسكت الخنوع أصوات المتخاذلين، الذين شغلوا بخلافاتهم
عن حماية مقدساتهم، فيقول^(٣):

هذي الحجارةُ يا أبي لغةٌ لنا لما رأينا أننا لا ننصفُ
لما رأينا أن أمتنا على أرضِ الخلافِ قطارُها متوقفُ

(١) ديوان الانتفاضة: ١٥.

(٢) المرجع والصفحة نفسها.

(٣) ديوان الانتفاضة: ١٦-١٧.

بيني وبين حصي بلادي موعداً
يتعوذُ الرشاشُ من طلقاتها
واجهتُ يا أباي الخطوب وعُدتي
وتوجهُ الله يجعل هامتي
ما كان يعرفهُ العدو المرجفُ
ويفرّ منها المستبدُّ الأجوفُ
قلبُ عصاميٍّ وحسُّ مرهفُ
أعلى وإن جار الطغاة وأسرفوا

أما الشاعر أحمد سالم باعطب^(١) فقد هزته الانتفاضة وحاول أن ينفذ إلى ما وراء الوقائع ويستشرف آفاقها فهو يقول^(٢):

ورأيتُ أطفالي وفي أيامهم
أسرَ الزمانَ جهادهم فإذا به
لما خوت مهجُ الرجال من الهدى
وعدتُ على كرمي الثعالبُ جهرةً
واعتل ميدانُ البطولة واختفى
شدتُ إزارَ الجدِّ كلَّ خريدةٍ
في كل ثانيةٍ يغير على العدا
شهبٌ تحطُّ شهامي ومضائي
راو ورسام لهم وروائي
وتمرَّغت في الزيغ والأهواءِ
وتسلل الذؤبانُ بين الشّاءِ
منه الكمأةُ وغصّ بالجناءِ
وشدا الصغارُ ملاحمَ العظماءِ
حجرٌ يجلجل: إنني لفدائي

يرى الشاعر الانتفاضة المباركة دليلاً على الكرامة والشهامة والمضاء. فجهاد أولئك الأبطال أسر الزمان وصار يروي قصص البطولة، ويرسم ألوان العزة

(١) أحمد سالم باعطب: من مواليد ١٣٥٥هـ في جدة في السعودية، حصل على الشهادة الجامعية في التجارة من جامعة الملك سعود. عمل مدرساً ثم مدققاً في الخطوط السعودية، ثم عمل في مؤسسة النقد العربي السعودي، حتى أحيل على التقاعد، له ثلاثة دواوين مطبوعة. ومجموعات شعرية تحت الإعداد. (من سيرة ذاتية مرسله من الشاعر نفسه).

(٢) ديوان الانتفاضة: ٣٢.

والشمم. في حين تخاذل الكبار، وجبنوا عن لقاء العدو متشاغلين بأهوائهم وضلالهم مما جرّأ العدو عليهم وعلى حرماتهم. ويشيد الشاعر بجهاد نساء الأرض المباركة ومشاركتهن الفعالة في الانتفاضة. ثم يُجري الحديث على لسان البطل الفلسطيني. فيقول^(١):

هذي الحجارة باليقينِ جلوتُها	وسقيتها من شيمتي ووفائي
ليست حصي لكن مشاعلٌ وثبةٌ	ونيازكٌ تأسو لواعجِ دائي
شهدتُ معي بيضَ السنينِ وأدركتُ	غصصَ الكفافِ وندرةَ الخلاءِ
ثارت غضاباً حين بات مصيرُها	ما بين سمسارٍ وبين مرائي
خلعت جلايبَ السكونِ وأضمرتُ	نارَ الفداءِ فأطفأتُ بُرحائي
ليت الألى نكصوا على أعقابهم	درسوا سماتِ النبلِ في حصبائي

إن المجاهد يستمد القوة من يقينه بالنصر والعزة للمؤمنين وإن طال زمن الجهاد. وهذه الحصى تشنّ على العدو ثورة بسقوطها كالنيازك معلنة وفاء البطل لأرضه ومقدساته. فقد شهدت هذه الحصى أيام الرخاء والشدة فثارت غاضبة حين حاول العملاء بيع الأرض إلى العدو الغاصب، فأضمرت نار الفداء والنبل فكانت مبعثاً للبهجة في النفوس التواقّة إلى الغد الظافر.

والقصيدة الأخيرة التي اختارها من ذلك الديوان هي للشاعر الأردني يوسف أبو هلاله في قصيدته ((حاذر أن تساوم))، ويستهلها بالحديث الموجه إلى غزة

(١) ديوان الانتفاضة: ٣٤.

قلب الانتفاضة فيرى أن هذه الثورة تضمد جرح الهدى الغائر، وتفضح الصمت الذي يحيم على الأمة وتعلن الحق الذي يواريه العدو الغاصب. فيقول^(١):

ضمّدي جرح الهدى الغا ئر يا غزّة هاشم
وافضح الصمت الذي شا خ بأوكوار الهزائم
واعلني^(٢) الحق الذي كا نت تواريه المحاكم

ثم يصور انطلاقة الثورة الإسلامية، فيراها بركاناً ناقماً ثائراً وسيفاً صارماً ثار على انجاسه في غمده، فتحوّلت الآتات الجريحة إلى نعمات باسمه. وقاد أبطال الحجارة هذه الثورة مواجهين أعتى عدو، فتكلم الحجر كاشفاً كل زيف ومعلناً إسلامية الثورة مسكتاً كل الأصوات القومية^(٣):

وثب البركان من مضى جعه وثبة ناقم
وعلى الأغمد ثارت تلعن الحيس الصوارم
أي سرّ جعل الآت ات أنغاماً بواسم؟
وخطا الأطفال لا تو قفها أعتى الرواحم
ولسان الحجر الصّا مت فكك الطلاسم
إنه الإسلام فلتخ رس أفانين المزارم

ثم طفق الشاعر يمجد الأم الفلسطينية التي تعلق روحها بفلسطين فوهبت بنيتها فداءً لها. كما يمجد الأبطال الصغار الذين أعطوا وضحووا في سبيل أرضهم

(١) ديوان الانتفاضة: ٣٨.

(٢) هنا ضرورة شعرية حيث جعل همزة القطع همزة وصل.

(٣) ديوان الانتفاضة: ٣٨.

المقدسة، والشعب العظيم الذي يسطر التاريخ موقفه بمداد من نور، والذي سيحقق النصر بعد جهاده المبارك بإذن الله^(١):

أَيُّ أُمَّ رَوْحُهَا فِيْـ	سُحُ فِلَسْطِيْنَ الْمَقَاوِمُ
تَهْبُ الْإِسْلَامَ أَشْلَا	ءَ بَنِيهَا وَالْجَمَاعِمُ
أَيُّ أَطْفَالٍ جَنَاهَا	وَأَفْرُوهِي الْبِرَاعِمُ
أَيُّهَا الشَّعْبُ الَّذِي بَا	هَتْ بِهِ سَاخُ الْعِظَائِمُ
أَيُّهَا الْمَطْلِعُ وَرَدَ النَّـ	صَرَ مِنْ شَوْكِ الْهَزَائِمُ
كُنْ مَعَ اللَّهِ وَلَا تَسِرْ	حُ الْعِلَامِنِ سَعِي آثِمُ

ومن المؤلفات التي أفردت للحديث عن الانتفاضة ((ديوان الانتفاضة)) جمع وتقديم: أحمد موسى الخطيب. وقد ضم بين دفتيه عديداً من القصائد، اخترت منها ما يلي:

القصيدة الأولى للشاعر عبد الرحمن العشماوي يبرز فيها الدوافع التي فجرت الانتفاضة. فالشعب رازح تحت وطأة المحتل يسومه سوء العذاب، مما جعل حياته جحيماً لا يطاق، والأطفال عاشوا رهن الكآبة والحزن وكثير منهم فقد والده أو والديه، والمآسي تترى على هذا الشعب، في حين يصمت العالم أمام هذه المآسي الكبرى^(٢):

مَا جِئْتُ أَسْأَلُ عَنْكَ الصَّمْتَ غَلَفْنَا	فَلَمْ نُطِقْ بَعْدَهُ أَنْ نَبْلُغَ الْأَرْبَا
بَلْ جِئْتُ أَسْأَلُ إِحْسَاساً يَجْرُكُنِي	إِلَيْكَ أَسْأَلُ جَرْحاً صَارَ مَلْتَهَا

(١) المرجع نفسه: ٣٩.

(٢) ديوان الانتفاضة جمع وتقديم: أحمد موسى الخطيب: ٣٩.

بل جئتُ أسألُ طفلاً كان مكتئباً بل جئتُ أسألُ طفلاً كان مكتئباً
 وظل في زحمة الأحداث مكتئباً وظل في زحمة الأحداث مكتئباً
 وجئتُ أسألُ أيتاماً حناجرهم وجئتُ أسألُ أيتاماً حناجرهم
 بُحَّتْ وما وجدتُ أمّاً لهم وأبا بُحَّتْ وما وجدتُ أمّاً لهم وأبا
 تلفتوا ورياحُ الظلمِ عاصفةٌ تلفتوا ورياحُ الظلمِ عاصفةٌ
 والهاربون استلذّوا الخوفَ والهربا والهاربون استلذّوا الخوفَ والهربا
 وأنصتوا فإذا الغربانُ تنشدُهم وأنصتوا فإذا الغربانُ تنشدُهم

ويتابع العشماوي حديثه عن الدوافع، ثم يعلن ابتهاجه بالانتفاضة، ويشيد بالحجارة سلاحاً في هذه المعركة. يقول^(١):

تأملوا في روايبهم فما وجدوا تأملوا في روايبهم فما وجدوا
 وكبروا فإذا الآفاقُ تمنحهم وكبروا فإذا الآفاقُ تمنحهم
 خاضوا معاركهم والهاربون على خاضوا معاركهم والهاربون على
 قد جئتُ أسألُ أطفالَ الإباءِ رمّوا قد جئتُ أسألُ أطفالَ الإباءِ رمّوا
 هذي انتفاضتهم شبّت مواقدُها هذي انتفاضتهم شبّت مواقدُها

إنه يشيد بأولئك الأبطال الذين جعلوا الحصى سلاحهم فكانت كاللهب يلقى على العدو الغاصب فحوّلوا أمنه خوفاً وحياته جحيماً. ويدعو الشاعر الأمة إلى مناصرة الشعب الثائر ودعّمه ليظل موقد ثورته مشتعلًا، وتستمر انتفاضته حتى تعود الأرض حرة.

(١) المرجع نفسه: ٤٠-٤١.

والقصيدة الثانية في هذا الديوان هي للشاعر محمد أمين أبي بكر^(١)، وقد أسماها: ((حجارة ورحيم)) والتقى مع الشعراء السابقين في استهلال القصيدة بذكر دوافع الانتفاضة فظلام القهر والعسف الذي يعيش فيه أبناء الأرض المحتلة هو الذي بعث هذه الثورة الجهادية. يقول^(٢):

في ظلامِ القهرِ في عصرِ الجمودِ أنجبَ التاريخُ أعلامَ الأسودِ
في زمانِ العُقمِ في ليلٍ تمطى فوق صدرِ اليُتمِ والشعبِ الشريدِ
أنبتُ أصقاعُنَا زهرَ الأمانِ يوقظُ الأجيالَ من ذلِ الرقودِ

ثم يعلن عن انبثاق الثورة بركان انتقام من الباغين، وصمود شعب يأبى الذل، ويستطيب الجراح في سبيل العزة. ويصف الشاعر أثر الثورة في العدو الجبان وكيف تحولت حياته جحيماً من لظى الأحجار. وأشرقت الانتفاضة في ليل الأسى مجددة الآمال واستحالت الأرض المجذبة القفر إلى روض ورود بديعة، فيقول^(٣):

فحروا الأحجارَ بركانَ انتقامٍ روعَ الباغين في ساحِ الصمودِ
واستطابوا الجرحَ في يومِ عصبٍ دمعُهُ نارٌ على كلِ الخدودِ
في حمىِ الأقصى ومسرىِ مصطفانا جنَدَ الأشبالِ أعداءَ الوجودِ
أشرقوا شمساً على داجي أسانا واستماتوا خلفِ أسوارِ الحدودِ
في ظلالِ الرعبِ ها هم قد أحالوا كلَّ قفرٍ مجذبٍ روضَ السورودِ

(١) محمد أمين أبو بكر: ولد في دمشق عام ١٩٥٠م، ودرس فيها ثم نال الشهادة الجامعية من بيروت، وعمل مدرساً في سورية ثم في السعودية وما يزال، نشر عدداً من القصائد في المجلات العربية. انظر مختارات من الشعر الإسلامي الحديث: ٣٧١.

(٢) ديوان الانتفاضة: ٥٦.

(٣) المرجع نفسه: ٥٦-٥٧.

ويصور أثر الانتفاضة في مدن فلسطين وبساتينها. فيقول^(١):

فانتشت حيفا وصاغت حول يافا برتقالات الهوى عذبَ النشيدِ
واستهامت فوق هاتيك الروابي وشوشاتُ الغصنِ والطلعِ النضيدِ
بالحكايات التي فاضت إباءً من شذا الليمونِ أو حبِّ الحصيدِ

إنه يرسم لوحة جميلة متفائلة، تصور حيفا وقد انتشت نواحيها، ويافا وقد صدح برتقالها بالنشيد العذب. وكل ما فيها مغرد جذلان.

ويعلن الشاعر في ختام القصيدة استمرار صمود أبطال الانتفاضة فكل طفل سوف يبقى قلعة تقاوم العدوان، وسيبقى المسلم الحر وقياً لربوع الأرض المباركة حتى يحقق الله على يديه النصر الأكيد^(٢):

كلُّ طفلٍ سوف يبقى في بلادي قلعةً تحمي بطولاتِ الجودِ
أبها الأقصى سنبقى أوفياءً للروابي الخضرِ والسيفِ النجيدِ
سوف نبقى لا نهابُ النارِ في سا ح الوغى مهما أعدوا من حشودِ
سوف تأتي بعد أيامٍ غضابٍ من لهيبِ الحربِ بالنصرِ الأكيدِ

أما ((ملف الانتفاضة)) فهو كتاب ثالث أفرد للحديث عن الانتفاضة. إلا أنه اختلف عن سابقيه بكونه كتاباً تاريخياً في معظمه، وفي نهايته أورد المؤلف: راجي نصر الله، بعض القصائد التي قيلت في الانتفاضة، ومنه أختار قصيدتين:

(١) ديوان الانتفاضة: ٥٧.

(٢) المرجع نفسه: ٨٨.

الأولى: للشاعر الفلسطيني محمود مفلح، والتي أسماها: ((طفل العقيدة)) واستهلها بقوله^(١):

هذا هو الردُّ لا شعراً ولا خطبُ	وإنما ثورةٌ في الأرض تلتهبُ
نمدّ أجسادنا للشمس نزرعُها	على الصخور فيجري الماء والعشبُ
لقد تألق في آفاقنا حجرٌ	حتى رأيتُ إليه الغارَ ينتسبُ
هذا هو الردُّ من بعد الجفافِ ففي	تلك الأكفِّ الدوامي ينضجُ العنبُ
شعب يرتل في أحجاره سوراً	ورحمةُ الله فوق الجرح تنسكبُ

لقد غمرت الفرحة حنايا نفس شاعرنا، فنجدته يرى في هذه الثورة المباركة رداً حاسماً على طغيان اليهود، إن أجساد الأبطال لم تعد تهاب شيئاً؛ فهم يواجهون العدو بججارتهم وصدورهم مفتوحة للرصاص. وهو يرى في تألق الحجر نماءً وزرعاً يوشك أن يثمر النصر، وآيات النصر ترتل من خلال هذه الحجارة.

وينوه شاعرنا بهذه الانتفاضة الباسلة فيقول^(٢):

شعبٌ يفجرُ تاريخاً وأوسمةً	ومن خيامِ المآسي تطلع الشُّهُبُ
من المساجدِ صاغ الصيِّدُ لحنهمُ	ومن منابرِها الشَّمَاءِ قد وثبوا
طفلُ الحجارةِ بل طفلُ العقيدةِ في	مساقط النارِ لا خوفٌ ولا رهَبُ
مشرَّعُ الصدرِ والإجرامُ منطلقُ	رصاصه ودمُ الإجرامِ منسكبُ
هذا هو الردُّ لا لاءً ولا نعمُ	ولا صراخٌ ولا لومٌ ولا عتبُ

(١) ملف الانتفاضة: ٣٧٥.

(٢) المرجع نفسه: ٣٧٥-٣٧٦.

ويتابع الشاعر حديثه مبتهجاً مجدداً هذا الشعب الذي شرع يسطر تاريخاً مشرقاً كالشهب تنطلق من خيام البؤس والتشريد الذي يعيشه أبناء الشعب الفلسطيني، ولكنهم مع ذلك كله جعلوا المساجد منطلق ثورتهم، وجعلوا المنابر تحرض على الصمود، بلا خوف ولا رهبة من جند الباطل. ويعرض الشاعر في ختام حديثه بواقع الأمة المتخاذل الصامت أمام الأهوال التي يعيشها إخوانهم في الأرض المحتلة مكثفين بإطلاق الشعارات شجياً واستنكاراً.

والقصيدة الثانية من هذا الكتاب للشاعر خالد أبي العمرين^(١) الذي بدأ قصيدته بتوجيه الحديث إلى مدينة القدس مبرزاً مكاتنها وقدسيتها المسجد الأقصى، ثم تابع حديثه معرباً عن ابتهاجه بالانتفاضة والأطفال الكبار؛ محبتهم لأرضهم المقدسة وغيرتهم عليها. ثم عرج يعرض بتخاذل المسلمين عن مد يد العون لإخوانهم، والذب عن حياض حرماهم فوصفهم بأنهم أموات لا يرجى منهم غوث. ثم عاد إلى تمجيد الصغار الذين فاقوا الكبار في شجاعتهم وتضحياتهم. إذ قال^(٢):

وأرضي فوقها مليونُ شبلٍ وتحت أديمها الشهداءُ ثاروا
وأطفالُ الحجارةِ في بلادي كبارٌ في محبتهم كبارُ
بلادي تأكل البلوى حشاها وينهشُ جيدها ظلماً إسارُ

(١) خالد أبو العمرين: شاعر فلسطيني من المهاجرين إلى غزة، قضى في سجون اليهود سنتين من ١٩٦٨م إلى ١٩٧٠م، وفي السجن كتب كثيراً من قصائده، ونشرت له قصائد متفرقة في صحف الأرض المحتلة، وعمل مدرساً للغة الإنجليزية في الكويت. (من أمسية شعرية مسجلة بصوت الشاعر نفسه).

(٢) ملف الانتفاضة: ٤٠٥-٤٠٨.

فهل يُرجى من الأمواتِ غوثٌ
 وحيفا إذ تناديكم هتفتمُ
 أفيكم يا شبابَ الجيلِ سعدٌ
 على اليرموكِ أعلامٌ تجلتُ
 وأسرجنا النجومَ لنا مطايا
 شبابَ الجيلِ قولوها تدوي
 كفرنا بالدعاوى زائفاتٍ
 فبالقرآنِ قد وضح المسارُ
 وهل تروي برارينا البحارُ؟
 لكِ الأسفُ الشديدُ والاعتذارُ
 وعكرمة يبايعه الكبارُ؟
 معامعُ لا يُشقُّ لها غبارُ
 إلى العلياءِ رافقنا انتصارُ
 فلن يُجدي يمينُ أو يسارُ
 فبالقرآنِ قد وضح المسارُ

ومن اللافت للنظر في شعر الانتفاضة أن كثيراً من الدواوين جاءت عناوينها حول الحجر وأبطال الحجارة ومن ذلك ما يلي:

١- ديوان حجارة من سجيل للشاعر عمر بهاء الدين الأميري - رحمه الله -
 الذي قدم له بمقدمة طويلة عن الانتفاضة وأبطالها. ومن هذا الديوان قصيدة:
 الأطفال الزلزال^(١):

الله أكلُ دوتُ
 هي الغيوبُ تنادي
 فصحةٌ تنامي
 والله يهدي ويرعى
 وفي فلسطين زحفٌ
 تلاحمٌ وامتدادُ
 بأسٌ عنيدٌ وطيدُ
 تنزلُ الكفـاراً
 أن الزمانُ استداراً
 قد عمّت الأمصاراً
 رجالها الأبراراً
 يشتردُّ ليلَ فـاراً
 فالكلُّ جدٌّ وثاراً
 قد وحدت الأعماراً

(١) حجارة من سجيل: ٧٢-٧٣.

إن أشبال الانتفاضة ينطلقون مكبرين، فيوقعون الرعب في قلوب اليهود الذين دار الزمان عليهم بعد ما كان لهم؛ فالصحوة الإسلامية التي تنامي زرعها قد أثمرت هذه الثورة، التي يرهاها الله جلّ شأنه. والمعارك متواصلة عنيفة بين أهل الحق وأدعياء الباطل حتى النصر والظفر بإذن الله.

ويتابع الشاعر وصفه المبتهج بالانتفاضة وأبطالها فيقول^(١):

فرب طفل غريض	للحقوق ردّ اعتبارا
صار النساء رجالاتاً	قاد الصغار الكبارا
من كل فج عميق	أفواجهم تبارى
وليس ذاك ((انتفاضاً))	بل الجهاد استطارا
العزم فلّ حديداً	والكف ترمي حجارا

يمجد الشاعر ذلك الشبل الصغير وبطولته الفريدة، كما يشيد شاعرنا بالنساء اللواتي استطعن بشجاعتهن المشاركة في هذا الجهاد الذي شارك فيه جميع قطاعات الشعب الصامد.

٢- أما الشاعر خالد أبو العمرين فجعل عنوان ديوانه: ((في القدس قد نطق الحجر)) وفي إحدى قصائده يقول^(٢):

والطفل صار مجاهداً في قدسه	تطغى قنابله على كل الكذب
لا تغمضوا أبصارنا بخطابة	ملّت صداها الأذن وامتألت قرب
ولتعلنوها للجهاد مسيرة	ونكون نحن لها وأول من وثب

(١) حجارة من سجل: ٧٢-٧٣.

(٢) في القدس قد نطق الحجر: ٥٧.

لن نرتضي غير التوحيدِ رايةً والدينَ والنصرَ العظيمَ المرتقبَ

هكذا انطلقت قوافي الشاعر مستوحية هذه الثورة الإيمانية، وممجة إباء هذا الشعب المجاهد؛ فحجارته صارت قنابل تبث الرعب في قلب العدو المحتل. كما حفز شاعرنا إحساس الأمة بالتعريض بالواقع المرير الذي تحياه مقتصرة على الخطب الرنانة في المحافل الدولية؛ فيطلق أحاسيسه ومشاعره المتألمة من هذا الجو القاتم مستنهضاً بني قومه لينفروا -تاركين الهوان والخنوع- إلى وحدة جهادية ترتفع فيها راية ((النصر العظيم المرتقب)).

٣- ونسمع النغمة ذاتها عند الشاعر يوسف العظم في ديوانه ((الفتية الأبايل)) فيستلهم حادثة أصحاب الفيل كما استلهمها قبله الشاعر عمر الأميري في ديوانه ((حجارة من سجيل)). والشاعر العظم في القصيدة التالية يصف أبطال الحجارة بالفتية الأبايل ويقدم لقصيدته بإهداء لهم يقول فيه: ((إلى المجاهدين من أبناء القدس وكل فلسطين، والمتوثبين من أبناء العربية والإسلام رمز تحية وتقدير وتباشر عزة وتحرير)) ويستهل القصيدة بقوله^(١):

حجارةُ القدسِ نيرانٌ وسجيلُ وفتيةُ القدسِ أطيّارُ أبايلُ
وساحةُ المسجدِ الأقصى تموجُ بهم ومنطقُ القدسِ آياتٌ وتريلُ
والشعبُ يزحفُ إيماناً وتضحيةً ما عاد يوقفُ زحفَ الشعبِ تنكيلُ
وصيحةُ الشعبِ حراً في تدفقه -من المساجد- تكبيرٌ وتهليلُ
والقدسُ تزدانُ في ساحاتها ارتفعت يبارقُ الحقُّ تحميها بهاليلُ^(٢)

(١) الفتية الأبايل: ١٣.

(٢) بهاليل: جمع مملول وهو السيد الجامع لكل خير.

تكلم الحجرُ القدسيُّ فانتفضتُ سواعدُ الصبيدِ واندكت أباطيلُ
وجندُ صهيون قد خابت مطامعُهم ما عاد ينفعُهم سجنٌ وترحيلُ

نسمع في الأبيات صوت الفرحة التي أثلجت صدر شاعرنا وهو يرى الفتية الأبطال يرحمون بالحجارة عدو الله، ويصور القدس وقد عمتها البهجة فرتلت الآيات ابتهاجاً بالانتفاضة. وبنو الشاعر بمشاركة الشعب بجميع قطاعاته في الانتفاضة جهاداً وتضحية، لا يثنيه عن ذلك تنكيل العدو ولا إرهابه.

ويؤكد الشاعر هذه المعاني فيما يأتي من أبيات فيقول^(١):

الطفلُ والشيخُ والأُمُّ التي خرجت في كفِّها الموتُ للطغيانِ محمولُ
والقدسُ أرضُ العلا والمجد مذ عرفت يباركُ القدسَ قرآنٌ وإنجيلُ
راحت تحطّم قيدَ الذلِّ شامخةً لا ترتضي أن يذلَّ القدسَ تدويلُ
هذي بشائرُ يومِ النصرِ نعلُها وليس في قولها زيفٌ وتحويلُ
فالنصرُ يمسي قريباً حين نقصدُه والنصرُ حين يُرادُ النصرُ مأمولُ

وهكذا يرى الشاعر في الانتفاضة أملاً بالنصر والعودة إلى رحاب الأرض المباركة.

٤- وفي ديوان الشاعر محمود مفلح ((نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني)) نحس روح التفاؤل والأمل التي غمرت الشاعر؛ من خلال إشارات بفتيان قومه الذين جعلوا الحجر سلاحاً لهم، والتكبير شعارهم^(٢):

(١) الفتية الأبايل: ١٤-١٥.

(٢) نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني: ٥٣.

سيروا فإن لكم خيلاً ومضماراً
وقاتلوهم فإن الله قاتلهم
سيروا على بركات الله في زمن
سيروا على بركات الله وانطلقوا
مدوا إلى الشمس من أجسادكم ألقاً
وذكرونا بأيام لنا سلفت
وأمطروهم مع التكبير أحجاراً
فقد تولوا على الأدبار فراراً
قد أنبت الصخر ريحاناً ونواراً
وحطموا الوحش أنياباً وأظفاراً
وسافروا في جفاف الأرض أنهاراً
فقد نسينا ((شُرحبلاً وعمّاراً))

إننا نسمع رنة الفرحة عالية في القصيدة، فيبارك الشاعر سير أولئك الأبطال الذين يدافعون عن كرامة الأمة ويقاتلون ألد أعدائها؛ فهم النور الذي يبدد ظلام الواقع المرير، وهم الأتباع التي تغمر الأرض بعد جفافها، وهم أحفاد الصحابة الأفاضل من أمثال شرحبيل بن حسنة وعمار بن ياسر.

٥- وآخر ديوان - بين أيدينا- يحمل اسم الحجر شعار الانتفاضة للشاعر أحمد محمد الصديق بعنوان: ((هكذا يقول الحجر)) ومنه قصيدة ((خطاب إلى جندي صهيوني)). يقول^(١):

منك الرصاصُ ومنّي الصدرُ والحجرُ
إن الأعاصيرَ في جنبيّ جامحةٌ
وكل حبة رملٍ في ثرى وطني
علامَ تبعثك الأحقادُ في صَلفِ
((الله أكبر)) إذ دوت مجلجلةٌ
في كل مئذنةٍ جيلٌ يرددها
والجرحُ نهرٌ من الأضواءِ ينهمرُ
يكفيك من عصفها ما تحملُ النذرُ
تكاد من غيظها المكظومِ تنفجرُ
وفيك يسكنُ داءُ الجبنِ والخورُ؟
فكلُّ شيءٍ مدى الآفاقِ منبهرُ
ورايةٌ تتحدى وهي تنتشرُ

(١) هكذا يقول الحجر: ٧٨.

يعرب الشاعر في الأبيات عن تحديّيه السافر لصلف الصهانية فأبطال الحجارة
يواجهون رصاص العدو بصدورهم. ويرى الشاعر في هذا الحجر نذيراً بالحرب
القادمة ضد الطغاة اليهود فلقد تأججت كل حبة رمل في الأرض المباركة من
هول ما يجري فوقها من عسف وظلم من اليهود الجبناء، الذين كُشفت طبائع
الخور والخوف فيهم أمام حجارة الأبطال الصغار. ويعلن الشاعر - في عزة
وتفاؤل - أن الجيل الذي رفع شعار ((الله أكبر)) وانطلق من المساجد سيكون له
الظفر بإذن الله.

ويؤكد الشاعر هذه المعاني مشيداً بالشعار الذي حملته الانتفاضة، وممجداً النساء
اللواتي شاركن في الانتفاضة في قوة وشجاعة؛ فيرى كل من شارك شموساً يفوق
ضوؤها ضوء الشمس والقمر؛ فلقد جادوا بأرواحهم مجاهدين في سبيل الله^(١):

تفتحتُ فهي في أكامها شررُ	((الله أكبر)) يا دنيا براعمنا
خضن الغمار وهنّ الطهرُ والخفرُ	والمحصناتُ بما في النارِ من حُممِ
إذا تمللَ فالأهوالُ تنكسرُ	وكلُّ ليثٍ هصورٍ في سلاسله
شمساً بما يستضيءُ الشمسُ والقمرُ	على مشارفِ هذا العصرِ قد وقفوا
فأخصبَ الجنيُّ لما أخصبَ المطرُ	جادوا بما ملكوا حباً وتضحيةً

وبالإضافة إلى ما سبق فإن هناك دواوين أخرى احتفت بالانتفاضة المباركة
وأكتفي بالإشارة إليها:

- ((شموخ في زمن الانكسار)) للشاعر عبد الرحمن العشماوي.

(١) هكذا يقول الحجر: ٨٠.

- ((قلي بين يديك)) للشاعر خالد الحلبي^(١).
- ((شموخاً أيتها المآذن)) للشاعر محمود مفلح.
- ((القدس في العيون)) للشاعر كمال رشيد.
- ((غريب الديار)) للشاعر عبد الرحمن بارود^(٢).
- ((لواعج)) للشاعر عبد الرحمن زيد السويداء^(٣).
- ملحمة الأقصى للشاعر عدنان النحوي.

تلك إلمامة يسيرة عن رد فعل الانتفاضة في الشعر الإسلامي أشرت فيها إلى غيظ من فيض مما قيل ابتهاجاً بهذه الثورة الإسلامية، فقد كانت هذه المرحلة أقوى وأثرى في حصادها الشعري من المرحلة السابقة (١٩٦٧م-١٩٨٧م)

(١) خالد سعود الحلبي: ولد في الأحساء في السعودية سنة ١٣٨٣هـ، حصل على الشهادة الجامعية في اللغة العربية من جامعة الإمام محمد بن سعود، وحصل على الماجستير في الأدب العربي، له ديوان شعر مطبوع، انظر ديوان الشاعر قلي بين يديك: ١٨٣.

(٢) عبد الرحمن بارود: ولد في بيت دارس بفلسطين عام ١٩٣٧م، ودرس فيها، ثم هاجر مع أهله عام ١٩٤٨م إلى غزة، وأتمّ دراسته هناك، وبعدها التحق بجامعة القاهرة حتى نال الشهادة الجامعية وتابع دراسته حتى حصل على الدكتوراه، ويعمل الآن أستاذاً بجامعة الملك عبد العزيز في جدة، له دراسات أدبية عديدة، وديوان مطبوع. انظر مختارات من الشعر الإسلامي الحديث: ١٢٢.

(٣) عبد الرحمن بن زيد السويداء: ولد ببلدة المستجدة جنوب حائل في السعودية عام ١٣٥٨هـ، تلقى تعليمه الأول في بلده ثم حصل على الشهادة الجامعية تخصص تاريخ في جامعة الملك سعود بالرياض، له عدة مؤلفات أدبية وديوان شعري. انظر الاتجاه الإسلامي بالشعر السعودي الحديث: ١٠٦-١٠٧.

وذلك أمر طبيعي في ظل النشوة التي هزت النفوس، وأعدت إليها الثقة وجددت فيها الأمل.

ومن الواضح أن معظم الشعراء الذين تحدثوا في هذه المناسبة قد اجتمعوا على عدة معانٍ من أبرزها: تعبيرهم عن مدى الفرحة التي أثلجت صدورهم، وإبراز الدوافع التي فجرت الانتفاضة، والدعوة إلى مناصرة الشعب المجاهد، والاحتجاج على واقع الأمة، واستنكار الخنوع والتخاذل المقيت الذي أصبحت الأمة لا تنفك عن إلفه، فأطلق الشعراء مشاعرهم مستنهضين بني قومهم إلى وحدة جهادية تُرفع فيها راية النصر بإذن الله.

المبحث الثاني

رثاء الشهداء وتهوين الموت في سبيل العقيدة

((إن الشهادة مرتبة من أعلى المراتب في هذا الدين، ولا يجوزها ويجرزها إلا من كان أهلاً لها، والله -عز وجل وحده- الذي يعلم أي الناس أحق بها من غيرهم فيختارهم لذلك))^(١).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١١) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧﴾ [آل عمران: ١٦٩/٣-١٧٠].

تكشف الآيات عن مصير الشهداء، الذين قتلوا في سبيل الله، فهم أحياء عند ربهم؛ لهم خصائص الأحياء؛ فهم ﴿يُرْزَقُونَ﴾، وهم ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وهم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بمصائر من وراءهم من المؤمنين، وهم موصولون بالأحداث فوق ما نالهم من فضل الله، وفوق ما لقوا عنده من الرزق والمكانة^(٢).

((فما هي رزية إذن ولا خسارة أن يستشهد في سبيل الله من يستشهد، إنما هو اختيار وانتقاء وتكريم واختصاص))^(٣).

(١) شهداء فلسطين: ١٢.

(٢) انظر في ظلال القرآن: ٥١٦/١.

(٣) المرجع السابق ٤٨١/١.

((ثم هم شهداء يتخذهم الله ويستشهدهم على هذا الحق الذي بعث به الناس، يستشهدهم فيؤدون الشهادة، يؤدونها أداءً لا شبهة فيه، ولا مطعن عليه، ولا جدال حوله، يؤدونها بجهادهم حتى الموت في سبيل إحقاق هذا الحق وتقريره في دنيا الناس))^(١). فما أسعد الشهيد بهذا الجزاء الأوفى في الآخرة!

وقد انبرى الشعراء لهذا الموضوع؛ لزرع حب الشهادة في النفوس، والتأكيد على قيمة الشهيد ومزلته عند الله.

فها هو ذا الشاعر كمال رشيد يرثي الشهداء في قصائد كاملة. ومن ذلك قصيدته ((الشعر للشهيد)) يقول^(٢):

كَلِ الْقَصَائِدِ لِلشَّهِيدِ	لِلْبَاسِ لِلْعَزْمِ الشَّدِيدِ
لِلْحَقِّ لِلْإِحْلَاصِ لِلـ	إِيمَانِ لِلنَّصْرِ الْأَكِيدِ
هُوَ هَكَذَا إِنْ رَامَ أَمْدَ	رَأً لَا يَلِينُ وَلَا يَحِيدُ
يَمْضِي لَهُ وَالنُّورُ فِي	جَنِينِهِ يَقْتَحِمُ الْبَعِيدُ
هُوَ لَا يِيَّالِي إِنْ يَكُنْ	مَوْتُ فَمَيِّ مَوْتِ خَلُودِ
مَتَجَرِّدٌ مِنْ كُلِّ أَطـ	مَاعِ الدُّنْيَا لَا يَسْتَزِيدُ
وَهُوَ الَّذِي يَسْعَى إِلَى	جَلِّيٍّ وَيَمَعِنُ فِي الصُّعُودِ
هُوَ يَعْرِفُ الْأَطْمَاعَ وَالـ	أَوْجَاعَ مَا خَصَمِي يَكِيدُ
رَفَضَ الْقَعُودَ عَلَى الْهَوَا	نِ وَذَمَّ أَخْلَاقَ الْعَبِيدِ

(١) في ظلال القرآن: ٤٨١/١.

(٢) القدس في العيون: ٥٦.

يشيد الشاعر ببطولة الشهيد وعزمه وإيمانه بالحق الذي من أجله أرخص مهجته، وهو مؤمن بالحياة وبالهدف من وجود الإنسان المسلم؛ فبذل حياته في سبيل الكرامة الإسلامية، فكُتِب له الخلود.

ثم يُجري الشاعر الحديث على لسان الشهيد مخاطباً أمه معرباً لها عن تبرمه بحياة الذل والمهانة؛ فلم يعد عيده فرحاً كعيد الناس يلبس فيه الجديد، ولا حبه لأرضه غناءً ونشيداً، وإنما بتخليصها من رجس اليهود. ثم يقرر الشهيد أن الأجيال الجديدة لا بد أن تتعلم معنى العزة والصمود، وتضع الحرية نصب أعينها، وتبذل في سبيل ذلك أرواحها لتفوز بإحدى الحسينين: النصر أو الجنة وهي تشتاق نفسه إليها^(١):

يا أمُّ ما عيدي كعيـ	دِ النَّاسِ بِالثَّوبِ الْجَدِيدِ
يا أمُّ ما حيي لأر	ضي بالغناءِ وبالنشيدِ
لكن بتحريرِ البـ	دِ مِنَ الْأَفْئَاعِ مِنَ يَهُودِ
لا بد أن يتعلمَ الـ	أَطْفَالَ مَا مَعْنَى الصَّمُودِ
لا بد أن نجتثَّ شا	راتِ الْعُبُورِ عَلَى الْحُدُودِ
إما مغالبةُ العدا	والعيشُ في الوطنِ السعيدِ
أو أن تكونَ لنا الشها	دَةُ وَهِيَ أَعْلَى مَا نَرِيدُ

وفي قصيدة ((شهداء عَنَبًا)) للشاعر نفسه، يرثي شهداءها بعد أن قدم لقصيدته بقوله: ((عَنَبًا: مدينة صغيرة، داهمها المستوطنون اليهود أكثر من مرة، وكان لها بطولات وشهداء)).

(١) القدس في العيون: ٥٦.

ثم قال^(١):

من ترابِ المجدِ من أرضِ عَنَبْتَا يا شهيدَ الحقِّ والصدقِ طلعتا
جُدتَ بالروحِ ولم تبخلْ بها ومع الصفوةِ في البأسِ وقفتا
ورميتَ السهمَ في وجهِ العدا مثلما ترجمُ شيطاناً رميتا
مثلما النيزك في ليلِ الدجى يلعن الظلمةَ والوهمَ نزلتا

يعلي الشاعر من شأن الشهيد سليل الماجدين، الذي بذل نفسه رخيصة في سبيل الله، وقاتل الأعداء في جراءة وشجاعة، فكان النيزك الوهاج في ليل الدجى مبدداً ظلام الخوف والوهم والخنوع.

ويسترسل الشاعر في تمجيد هذا البطل فيراه رضيع المجد وأكرم الناس. ويصف أم الشهيد بأنها كالخنساء التي وهبت بينها الأربعة شهداء في سبيل الله، ومن يبلغ هذه المكانة والعزة والمجد غير أم الشهيد؟ فهذه البطولة هي ما تؤمله في ابنها الشجاع الذي رفع رأسها عالياً وأعلى قدرها بين الناس^(٢):

يا رضيعَ المجدِ، يا عينَ الرضا أكرم الناس لدى الناسِ غدوتا
أمك الخنساءُ من يُلُغها عزةً مجداً وإيماناً وسمتا
ربما كانت ترجي أن ترى في بنيتها فارساً شهماً فكتتا
فرفعتَ الرأسَ منها عالياً وجعلتَ النجمَ للخنساءِ بيتا

وفي المقطع الأخير من القصيدة، يبين الشاعر تعلق نفس هذا البطل بالشهادة وسعيه إليها؛ لينال جنان الخلد، فسعى إليها في طريق شائك وعر، وسكب دمه

(١) القدس في العيون: ٥٧.

(٢) القدس في العيون: ٥٧.

الطاهر فكان قبساً من نور يرشد من بعده إلى طريق النصر. وإذا كانت القدس هي القنديل، فهو الزيت الطاهر الذي يوقد ذلك القنديل^(١):

يا حبيبَ اللهِ قد نلتَ الذي كنتَ ترجو وجنانَ الخلدِ نلتا
رُدتَ دربَ النصرِ وعراً شائكاً دمك الطاهرُ في الأرضِ سَكبتا
أنتَ فينا قبسٌ يرشدُنا وإذا اخترنا مثلاً كنتَ أنتا
وإذا القدسُ غدتْ قنديلنا فلقد أصبحتَ للقنديلِ زيتا

((أم الشهيد)) قصيدةٌ ثالثةٌ للشاعر نفسه، يُطمئن فيها أم الشهيد إلى مثنى ابنها في جنة الخلد. فيقول^(٢):

اطمئني أمَّ الشهيدِ اطمئني هو في الخلدِ في جنائنِ عدنِ
نالها مخلصاً بفعلِ عظيمِ لم ينلها بالقولِ أو بالتمني

وبعد هذا المطلع الحافل بالوجدان الشعري، يقدم الشاعر صورة مشرقة للشهيد وبطولته الرائعة حين جاد بروحه وهي أنفس ما يملكه الإنسان، وكانت الشهادة أمنيته ورجاءه من ربه جلَّ وعلا. ويجري الشاعر على لسان الشهيد حمداً لله وشكراً على حسن خاتمته في هذه الفانية^(٣):

جاد بالنفسِ إذ تعزُّ نفوسُ وهو أمرٌ وعزٌّ على النفسِ مضني
قال ربي على العدوِّ أعني وإلى مدرجِ الشهادةِ خذني
أنتَ ربُّ الوجودِ فيك مآلي أنتَ ربُّ الآجالِ تُحيي وتُفني

(١) القدس في العيون: ٥٧.

(٢) المرجع السابق: ٥٨.

(٣) القدس في العيون: ٥٨.

ولك الحمدُ إن أطلتَ بقائي ولك الحمدُ إن ختمتَ بحسنِ
ويصور فداء هذا الشهيد وجهاده للعدوِّ، حتى سقط مضرّجاً بالدماء
الطهور. فيقول^(١):

نال من خصمه وحقّق سُؤلاً ورأى الموتَ مقبلاً رأيَ عينِ
مات فوق الثرى الطهورِ شهيداً وروى الأرضَ بالتّجيعِ كمزّنِ
وفي نهاية المطاف ختم الشاعر قصيدته بالحديث الموجه إلى أمّ الشهيد التي
حقّق لها أن تفخر بابنها البطل، وتحتفل به؛ فلسان السماء والأرض تلهج بالثناء
عليها. يقول^(٢):

إيه أمّ الشهيدِ يا خصبَ أرضي لا تقولي مضى وودع إبني^(٣)
أنتِ أمُّ الرجالِ أمّ الأماني وعليك السماءُ والأرضُ تثنّي
فاجعلي ليلةَ الشهيدِ احتفالاً مهرجاناً، وليس ليلةَ حزنِ

ويفرد الشاعر يوسف العظم قصيدة لشهداء ثلاثة، انضموا إلى قافلة شهداء
الانتفاضة؛ فأهدى قصيدته لهم قائلاً: ((إلى الذين روّوا بدمائهم الطاهرة أرض
مدينة ((ليماسول)) - بجزيرة قبرص - وهم في طريقهم لضرب مواقع العدو
الغاصب على أرض فلسطين. إلى الشهداء الأبرار: قاسم محمد ومحمد باسم
التميمي ومروان الكيالي))^(٤).

(١) القدس في العيون: ٥٨.

(٢) المرجع والصفحة نفسها.

(٣) جعل همزة (ابن) همزة قطع لضرورة الوزن.

(٤) الفتية الأبايل: ٤٣.

وبدا قصيدته راوياً قصة أولئك الثلاثة الأحرار قائلاً^(١):

ثلاثة فرسان تباروا إلى العلا وكل يغدّ السيرَ نحو مصيره
مضى (قاسم) في موكب الحق ظافراً أميرٌ إذا باهى اللّوا بأمره
وثانيهم يلقى الردى وهو ((باسم)) له من جبينِ الفجرِ طلعةُ نوره
وثالثهم ((مروان)) لله دَرُه يردد ساحُ المجد رجعَ زئيره

يسترجع الشاعر صور الشهداء الثلاثة ويصفهم بالفرسان المتسابقين إلى العلا، إلى ساح الجهاد والاستشهاد. ((فقاسم)) أمير موكب الحق الظافر، و((باسم)) يلقى الردى وهو جذلان يعلو محياه نور كنور الفجر، و((مروان)) ينقضّ على الأعداء كالأسد المصور.

وبعد هذه الصور الثلاث لأولئك الشهداء يقرر الشاعر أن مآلهم - بإذن الله- إلى جنان الخلد، حيث الحور الحسان تنتظرهم ضيوفاً كراماً في حياة طيبة خالدة^(٢):

وكلّ بإذن الله مأواه جنّة شهيدُ العلا قد زُفَّ فوق سريره
أحاطت به الحورُ الحسانُ كرامةً فأقبلَ ضيفُ الخلدِ يزهو بحوره
ففازوا بجنّاتٍ وطابت حياتهم كما طابَ في الفردوسِ صفوُ غديره

ويسترسل الشاعر في حديثه العذب عن أولئك الشهداء موضحاً صفاتهم وسيرتهم في حياتهم^(٣):

(١) الفتية الأبايل: ٤٥.

(٢) المزجع والصفحة نفسها.

(٣) المرجع نفسه.

سلاحهمُ الإيمانُ والعلمُ والنُّهى
 إذا تاه أفاقٌ بريف قشوره
 لكل مقامٍ عندهم خيرٌ منطقٍ
 وكلُّ مقالٍ فيه رأيٌ خبيره
 فللمدفع الرشاشِ صوتٌ وموقفٌ
 وللقلم المعطاء عذبٌ صريره
 وصيَّتهم عند الرحيلِ وعيَّتها
 وقد ألهتْ في القلبِ صدقَ شعوره
 إذا الشعبُ لم يجمع على الدينِ رأيه
 تولى ((غرابُ البين)) كلَّ أمره

لقد كان الإيمان والعلم والعقل الراجح سلاحاً في معركتهم الجهادية، كما كان منطقهم فصيحاً بليغاً لأنه مدعمٌ بالفعل والبذل والفداء وحمل السلاح جنباً إلى جنب مع القلم المحرّض المجاهد. ويجري شاعرنا على لسان الشهداء وصية خالدة إلى الأمة بأن الشؤم والهلاك سيرافقها ما لم تتمسك بعرى الدين القويم وتزد عن حياض مقدساتها.

ويختتم الشاعر قصيدته بتعريضٍ ساخرٍ بالمتنعمين بطيب العيش والمتمرغين في أوحال الوهم، في حين يروم الفرسان الأحرار الشهادة والعزة بعد مجاهدة الظلم والطغيان في سبيل إعلاء كلمة الله فيقول^(١):

إذا المارقُ المغرورُ عاش منعماً
 وداعب في الأوهام طيشَ غروره
 فللفارسِ المغوارِ عزٌّ وجنةٌ
 وللظلمِ والطغيانِ لفحٌ سعيره

أما الشاعر أحمد محمد الصديق في قصيدته: ((أين من يسمع؟)) فقد أشاد بأبطال الحجارة الذي أرخصوا أرواحهم في سبيل حرية أرضهم المقدسة. فقال^(١):

(١) الفتية الأبايل: ٤٧.

أسراب طير تفتدي عشها
 أكرم بهم أكرم بنت الحمى
 باعوا لرب العرش أرواحهم
 من مسجد هبوا إلى مسجد
 صدورهم درع لأوطانهم
 جراحه تفوح مسكاً وفي
 كالأسد في الغابات بل أروع
 كم أذهلوا الدنيا وكم أبدعوا
 وهم بغير الحق لم يصدعوا
 نعم الرجال السجد الركع
 كم من شهيد طاهر شيعوا
 جبينه نضارة تلمع

يعبر الشاعر عن شجاعة أبطال الحجارة تعبيراً يوحى بالشعور العميق بالحب والإعجاب والتقدير فتتال المعاني من قريحته تصف الأبطال بأنهم سرب من الطيور الجارحة تفتدي عشها بكل قواها، كما يشبههم بالأسد في الغابات تحمي عرينها.

فلقد أذهلوا الدنيا بجرأهم وشجاعتهم حين باعوا أرواحهم لله، منطلقين من المساجد التي ألفتهم سجداً ركعاً، وإن صدورهم لهي الدرع الذي يحمي وطنهم، ودماء شهدائهم تفوح مسكاً مصداقاً لقول رسول الله ﷺ: ^(١) فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه قال: ((والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله - والله أعلم بمن يكلم في سبيله - إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك)).

والشاعر نفسه في قصيدة أخرى يؤكد هذه المعاني على لسان شهيد يوجه حديثه إلى جندي صهبيوني إذ يقول ^(٢):

(١) هكذا يقول الحجر: ٤٨.

(٢) صحيح البخاري: ٤١٢/٤ (٢٨٠٣).

(٣) هكذا يقول الحجر: ٧٨.

منك الرصاصُ ومني الصدرُ والحجرُ والجرحُ نُهرٌ من الأضواءِ ينهمرُ
 إن الأعاصيرَ في جنبيَّ جامحةٌ يكفيك من عصفها ما تحملُ النذرُ
 علامَ تبعثك الأحقادُ في صلفِ وفيك يسكنُ داءُ الجبنِ والخورُ
 منك الرصاصُ ومني الوجهُ محتضبٌ كالأفقِ بالشفقِ الوردِيِّ يأتزرُ
 دُمُ الشهيدِ صداقُ الحورِ يدفعه لله وهو إلى الفردوسِ يتدرُ

إن هذا البطل يتحدى العدو في جرأة وشجاعة غير مكترث برصاصه وأسلحته، لأن هذا البطل إنما يضع روحه على كفه في جهاده لأعداء الدين، فدم الشهيد هو مهر الحور العين في جنات الفردوس.

ويمجد الشاعر عدنان النحوي شهيد الانتفاضة بعد أن أعرب - في بداية قصيدته - عن ابتهاجه بالطفل الثائر، ثم يقول^(١):

والروابي تلفتت لتراه شعلةً في الدجى وقلباً يجودُ
 نفحته كلُّ الزهورِ شذاها وحبته أركى العطورِ الورودُ
 فإذا بالدماءِ نفحةٌ مسكٍ فوحتُ عندها رُباً ونجودُ
 فتمنت كلُّ الزهورِ شذاها وتمنته كاعبٍ وخرودُ
 أروعُ العطرِ ما تجودُ به الرو ح وتعطيه مهجةٌ ووريدُ
 وإذا بالربا دويٌّ ينادي والليالي صدى هناك بعيدُ
 أنا عطري من الدماءِ الغوالي كلُّ شيرٍ ثوى عليه شهيدُ

إن شاعرنا يعلي من شأن هذا الشهيد الذي جاد بنفسه فكان شعلة وضاءة

(١) ملحمة الأقصى: ١٤٤-١٤٥.

في ظلمة العسف والجور، فجرى دمه الطهور على ثرى أرضه مسكاً يعطر الربا، فأروع عطر هو دم الشهيد الذي بذل مهجته في سبيل كرامة أرضه.

ثم يتابع الشاعر حديثه عن الشهيد الذي رمز به لكل فدائي غدت بسالته جزءاً من بسالة شعبه؛ فيصور قطرة دمه الزكي وهي تروي ملاحم التاريخ المجيد على هذه الأرض الطاهرة. ثم يعلن الشهيد أنه من أمة ماجدة بناها الرسول -عليه الصلاة والسلام- وما أوحى إليه ربه جلّ وعلا، كما أعلن عن مراميه وأهدافه، إنه أرخص دمه في سبيل إعلاء كلمة الله وتضحيةً في سبيل كرامة الإسلام وعزته فكان مآله إلى الجنان. وهو رمز لكرامة الإنسان المسلم الحرّ الوفيّ لدينه وأمته. إذ يقول^(١):

وسرت قطرةً من الدم تروي	حيث تسري ملاحماً وتعيدُ
كلُّ ما في الربا أصاخ وأصغى	عجباً والورى أصمُّ عنيدُ
أنا من أمة بناها رسولُ الله	ه والوحي والكتابُ الجيدُ
أنا لله قد سكبتُ دمائي	ولربّي تضرّعي وسجودي
عقب الطهر في دمي وحياتي	نفحة الخير والعطاء الفريدُ
أنا عطري من الجنانِ ونفحي	صبّه الشوقُ منه والتوحيدُ
أنا معنى الإنسانِ جوهره الحرّ	وعزمٌ على الوفاءِ أكيدُ

وفي قصيدة ((قيود)) للشاعر عبد الرحمن بارود، نجد الشهيد ((رمزاً للبطولة الحقة والتفاني المطلق في سبيل الوصول إلى إرضاء الله وإلى إعادة الحياة الإسلامية))^(٢). إذ يقول^(٣):

(١) ملحمة الأقصى: ١٤٥.

(٢) مجلة المشكاة: عدد ١٠ - السنة الثالثة - ١٤٠٩هـ - ص ٥.

(٣) غريب الديار: ٩٨-٩٩.

وفرسأنا كنجوم السماءِ وأكفأنا البيضُ فوق البنودِ
 ردِّ الموتَ تملكُ عنانَ الحياةِ شهيداً وتعتقُ رقابَ العبيدِ
 أأعداءِ (الله أكبرُ) موتوا ف (الله أكبرُ) لحنُ الخلودِ
 وما الأرضُ؟ إني أرى الأرضَ أضـ غر من قطرةٍ من دماءِ الشهيدِ

يعلي الشاعر في الأبيات من شأن المجاهدين المتعطشين إلى ذرى الشهادة. فالشهيد يتحدى أعداءه بصيحة ((الله أكبر)) التي تنطلق مع كل حجر، وتسدد رمي كل قذيفة بإذن الله. ثم يقرر الشاعر أن قطرة الدم هي التي تُراق في ميدان الجهاد لهي أكبر من آفاق الأرض الممتدة.

وها هو ذا الشاعر محمود مفلح في ديوانه ((نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني)) ينظم قصيدته بمناسبة مرور عامين على الانتفاضة الباسلة، ونجده يجيي الشهيد ويمجد الشهادة في قوله^(١):

عاد الزمانُ الفذُّ يا وطني وعلا صهيلُ المجدِ يا عمرُ
 أرضُ الشهادةِ كيف تنكرها والمسكُ في أرجائها مطرُ
 أرضُ القناديلِ التي سطعتُ في ليلنا والليلُ معتكِرُ
 أرضُ الحجارةِ غردي فأنا في مسمعي التغريدُ ينهمرُ

يستلهم الشاعر صفحات التاريخ الذهبية التي ضمت أخبار الفتوح الإسلامية لأرض الشهداء، فها قد أورت الانتفاضة زناد الثورة والغيرة من جديد، فانتشر عبير المسك في أرجاء الأرض المباركة، أرض القناديل التي بددت ظلام الاستسلام وأرض الحجارة التي باتت تنشد لحون الأمل المرتقب.

(١) نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني: ١٧.

ثم يوجه الشاعر حديثه إلى الشهيد ((الماضي إلى دمه)) البطل الذي يسقي الأرض بدمه الطهور فيورق شجر العزيمة في نفوس الثائرين. إن أسطورة ((العدو الذي لا يقهر)) تبذرت أمام انتفاضة الشعب المجاهد. فقد علّم هذا الشهيد الأمة لغة النصر والظفر، وطريق الخلاص. وخطّ بدمائه فصول الملاحم، في حين تحاذلت الأمة عن نصرته، فيا له من قمر ساطع في ليل الهزيمة والتخاذل!^(١):

يا أيها الماضي إلى دمه	يسقى العطاش فيورق الشجر
أسقطت ألف خرافة لهم	وأنت على أجداهم سقر
علمتنا لغة قهز بنا	كل الغصون فيسقط الثمر
وأرئنا كيف الظلام هوى	والجاهلية كيف تتحرر
وكتبت فصلاً في ملاحمنا	وسواك ما قالوا ولا سطورا
لولاك لم يحفل بنا قمر	يا أنت ما أحلاك يا قمر!

وللشاعر محمد منير الجنباز^(٢) مساهمة في هذا المجال في قصيدته ((شبل الحجارة)). إذ يقول^(٣):

في كل يومٍ مرّ الشهور نرى	عرساً لطفلٍ شهيدٍ وجهه القمر
يمضي فيأتي على إثر صحابته	يتبعون مسيراً خطّه القدر

(١) نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني: ١٧-١٨.

(٢) محمد منير الجنباز: ولد في حماة في سورية عام ١٩٤٣م حصل على الشهادة الجامعية في الجغرافيا ودبلوم التأهيل التربوي والمجستير في الإعلام. له ديوان شعري مطبوع: انظر مدرسة بدر وشعراؤها: ٩٠.

(٣) مجلة التوباد- السنة الرابعة، عدد ١٣، ص ٦٠.

وأرضنا قد بدت عطشى تريد دماً
توثب الطفل كالبركان مندفعاً
يرمي الحجارة لا يخشى حديد لظى
سعى إلى الموت ليس اليأس يدفعه
أرى الخيوط لفجرٍ قام يصنعه
رتل الشهادة يمضي في مواكبه
ومن أراد حياة العز جاد لها
هذا الفداء وهذا الجرح ينفجر
يقدم الروح لا وان ولا حذر
وقد بدا رجلاً ما عاد يحتقر
بل للفداء بقلب ما به خور
جيل الحجارة صبارون ما ضجروا
رغم الجراح بنور الحق ينتصر
بالروح والمال بالإقدام يأتزر

يشيد الشاعر باستمرار الانتفاضة وتصاعدها، ففي كل يوم ينضم شهيد بطل إلى قافلة الشهداء. فأرض الجهاد متعطشة إلى الدماء الزكية لترويهما من أجل صيانة شرف الأمة الذي هو أعلى من كل نفيس. ويحيي الشاعر شجاعة ذلك الطفل الجسور الذي يُقدم على الموت بلا أدنى خوف. فصارت هذه الثورة أملاً مرتقباً وخيوط فجرٍ قادم. ويؤكد الشاعر أن قافلة الشهادة مستمرة ومتزايدة رغم الممارسات التعسفية من العدو. ثم يورد الشاعر حكمة بليغة مؤداها أن حياة العز لا تتحقق إلا بإرخاص الروح والمال ذوداً عن حياض الحرمات.

وخلاصة القول: إن الشعراء مجّدوا الشهيد في سبيل العقيدة، ورأوا فيه الباحث الصادق عن الخلاص من ظلمات العسف والخنوع والاستسلام، إما بالنصر في الدنيا ورفع كلمة الله في الأرض، وإما بنيل الشهادة والفوز بالجنة في الآخرة وهما الحسينيان، وهذه هي البطولة الحقّة.

هذا، وقد سائر الشعراء خطأ ذلك الشهيد مجاهداً ومغالباً العدو ثم قتيلاً يعطر المسك جراحه، ثم خالداً منعماً في جنان الخلد. ولا مرأ أن في ذلك زرعاً

لحب الشهادة في قلوب المسلمين، وتأكيداً على قيمة الشهيد ومترلته عند الله؛ لأنه إنما يوجد بأنفس ما عنده، كما قال الشاعر:

يوجد بالنفس إذ ضنّ البحيلُ بها والجوّدُ بالنفسِ أقصى غايةِ الجودِ

المبحث الثالث

الحل الإسلامي هو الطريق لإنقاذ فلسطين

إذا كانت مرحلة نكبة حزيران ١٩٦٧م قد دفعت الشعراء إلى النظر إلى الآفاق المستقبلية نظرة أمل وتفاؤل -مع أغلال الهزيمة- فإن مرحلة الانتفاضة المباركة ١٩٨٧م كان شعرها أقوى في طرح الحل الإسلامي، متمثلاً في الوحدة الإسلامية والجهاد لإنقاذ فلسطين. فالانتفاضة أحييت الأمل في النفوس وأعدت الثقة والتفاؤل بالغد الظافر. فراح الشعراء يبثون في الأمة روح النقاء والعزيمة والعزة الإسلامية الشماء؛ وقد انعكس ذلك جلياً في شعر الانتفاضة. فإيجابية المؤمن تتمثل في سعيه الدؤوب إلى العمل؛ فالعمل هو الترجمة الواقعية للإيمان. فليس الأمر مجرد مشاعر إنما هو مشاعر تفرغ في حركة لإنشاء واقع وفق التصور الإسلامي للحياة. ومن هنا جاءت أهمية الدعوة إلى الأدب الفيّاض بالتصور الإسلامي والبعد بآفاق الأدب عن دروب السلبية وكهوف التشاؤم^(١).

وشارك في تلك الدعوة إلى الجهاد عدد كبير من الشعراء في حمية صادقة وحماسة متدفقة، وقد اخترت منهم تسعة شعراء:

الأول: محمود مفلح في قصيدته ((صرخة))، وقد استهلها بلهجة ساخرة لاذعة موجهة إلى المتخاذلين عن الجهاد في فلسطين، وليس همهم سوى العيش الرغيد.

(١) انظر الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق: ٤٠.

وفي المقابل يبرز صورة المجاهدين الأباة. فيقول^(١):

نحن قومٌ أعزنا الله بالإسلام — فلامٍ يا قومٌ فأنهضوا وأفيقوا
وابعثوا النارَ في رمادِ الليالي — وأضيؤوا كما تضيءُ البروقُ
أمي أمةُ العقيدةِ يا قوم — وهذا سلاحُها الموثوقُ
حسبها أَمَا استطالت على الشمس — سِ ومنها الفاروقُ والصديقُ

يقتبس الشاعر مقولة عمر الخالدة: ((نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله)). ويثّ الشاعر في بني قومه روح التوثّب والعزيمة؛ ليشعلوا النار التي علاها رماد الخنوع، ويعودوا بروقاً تضيء للعالم طريق الهداية. ويذكر الشاعر بماضي الأمة المجيد مستمداً من شخصيتي الصديق والفاروق رضي الله عنهما إحياءات العزة والمواقف المضيئة في مسيرة التاريخ؛ ليعود بقبس منها إلى الحاضر الأليم لعله من عشرته ينهض ومن لوه يفيق^(٢).

٢- أما الشاعر عمر بهاء الدين الأميري فيقدم لقصيدته - في الحث على الجهاد - بقوله: ((ليس الأمر سهلاً ولا قريب المنال، ولكن له موعداً في قرار الأقدار - وهي صاحبة القرار - يدور الفلك نحوه، ويسير بنا إليه؛ ولا بد أن نبلغ القصد ونحقق المجد لأنفسنا وللعالين بعون من الله العزيز القدير)). ثم يقول^(٣):

النواميسُ في ركابك يا إس — فلامٌ تمضي وتستحثُ الزمانا
سترى أعينُ العصورِ انبلاجاً — من دياجيرنا لنورِ هداانا

(١) شموخاً أيتها المآذن: ٤٠.

(٢) انظر الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق: ٩٥.

(٣) حجارة من سجيل: ١٤٤.

وبعد هذه المقدمة المفعمة بالأمل والثقة بنصر الله، يسترسل الشاعر في نظريته المتفائلة^(١):

كان دينُ الإسلامِ مذ كان هدياً للبرايا ورحمةً وأماناً
وستبقى فينا حوافزه المثلث لى ويبقى في أمرنا فرقاناً
سنوالي جهادنا في فلسطين من نقيم الصلاة في ((أقصانا))
موعداً مبرماً إذا مات عنه شيخنا القرمُ فيه ينمو فتاناً
علمُ الكون في غدٍ ونشيدُ الـ كونِ طراً وخطئنا وخطاناً
ونجاة الوجود في القدرِ المر صودِ أمرٍ يحكّم القرآناً

ينادي الشاعر بأن البطولات التي انبثقت من هذه الانتفاضة المباركة لتدلل على أن روح أمة الإسلام لا تني تجدد في القلوب الإيمان والعزيمة تستمدّها من القرآن الكريم. ويؤكد الشاعر استمرارية الجهاد في فلسطين حتى التحرير؛ لينعم المسلمون بصلاة آمنة مطمئنة في رحاب الأقصى الشريف. وسيظل ذلك الهدف ماثلاً نصب أعيننا تتوارثه الأجيال علماً ونشيداً وهدفاً سامياً.

٣- وإذا كان الشاعر الأميري يطرح الحل الإسلامي -من خلال هذه النظرة الواثقة بالنصر-، فإن الشاعر خالد الحلبي يطرحه من خلال تمجيده لأبطال الحجارة. يقول^(٢):

يا عربُ هذي صفحةٌ قد سُطّرتُ بدمِ الشبابِ فأشرقتُ فتعلموا
أبطالُ غزّةِ علموكم بالزجاء حةِ والحصى كيف المدججُ يهزمُ

(١) حجارة من سجيل: ١٤٥.

(٢) قلبي بين يديك: ٧١.

فرأيتهم أطفالهم يجرون للـ موت الزوامِ وليس فيهم محجّم
ورأيتهم شبيهاً بهم روحُ الشبا بِ توّبتْ وعلى الشهادةِ صمّموا
وشبيبةً لهبُ الحماسةِ في دما نهم بنيرانِ العزيمةِ يُضرمُ
قد أشربوا روحَ الجهادِ فزلزلتْ شبحَ المخاوفِ فللنايا سُلّم

يهيب الشاعر بالأمة أن تتعلم من أولئك الأبطال؛ مذكياً فيهم روح الجهاد وموقظاً همهمهم. فأبطال غزة يجاهدون العدو بسلاحهم البسيط، ومع ذلك يوقعون الرعب في صدور الجنود الصهاينة، ويفرون من أمامهم هارين. كما يشيد الشاعر ببطولة الأطفال الذين يقدمون على الموت بلا أدنى تهيّب، وكذلك الشيوخ والشباب، الذين ألهمت الحميّة الدينية عزيمتهم فصمدوا مجاهدين في سبيل إعلاء كلمة الله وفي سبيل كرامة الأمة.

٤- وفي قصيدة ((شموخ)) للشاعر أحمد محمد الصديق يعلن الشاعر في نبرة عالية- شموخ الأبطال وشجاعتهم رغم سياسة القمع الصهيونية. فيقول^(١):

حطّموا ساعدي ودقوا عظامي لستُ أحنى على المذلةِ هامى
لا أبالي الردى وإن عربد الليـ لُ وضحت عواصفُ الآلامِ

وينشط الشاعر في إذكاء روح الجهاد والاحتفال بالأبجاء الإسلامية؛ فيبين أن هذا الجهاد إنما يسير على سنن القادة أمثال أمين الحسيني وعز الدين القسام، وعلى خطا القادة الفاتحين الأوائل الذين ملؤوا الأرض بنور الهداية وبدّدوا سحف الظلام.

(١) هكذا يقول الحجر: ٢٩.

يقول^(١):

نحن لله ما حيننا جنوداً قد رضعنا الإباءَ قبل الفطامِ
وفهضنا على خطا القادة الغرِّ ونهج ((الأمين)) و((القسام))
أولسنا أحفاداً من فتحوا الدنـ يا وسادوا بالعدل في الأقوام؟
نقتفي دربهم جهاداً وإيماً نأ ونمحو بالنور جيش الظلامِ

ويتوجه بالحديث إلى الأمة المتقاعسة عن نصره الحق فيقول^(٢):

أدخيلُ ويستبدُّ بأرضي؟! وجبانٌ يصولُ كالضرغامِ
تلك والله ربُّ قاصمةِ الظهرِ ر فهبي يا أمة الإسلامِ
أم تُرى في الحضيضِ لَدُّك العيـ ش وطابت وخامةُ الاهزامِ
وتراخي الرعاةُ وانفرط العقـ دُ وعاث الذئابُ في الأغنامِ
ياخزي القعودِ في موقف البذـ ل وعارِ الخنوعِ والإحجامِ

ينظر الشاعر إلى سواد الواقع المضني، ويرى أحداثه قاصمة الظهر؛ حيث العدو الجبان يجوس في البقعة المباركة يدنس طهرها، ولا من يهب إلى تطهيرها من دنس العدو ورجسه. ويتساءل في مرارة: هل استمرت الأمة العيش في الحضيض والتمرغ بأوحال الهزيمة؟ فالراعي إن غاب عاثت الذئاب في أغنامه. فيا لخزي القعود في موقف البذل!

وينتهي الشاعر قصيدته بتذكير الأمة بالأجداد السالفة مؤكداً أنها أمة الأجداد التي سطرها التاريخ في بيض صفحاته، ويتساءل في استنكار؛ هل يضع الأقصى

(١) هكذا يقول الحجر: ٣٠.

(٢) المرجع نفسه: ٣١-٣٢.

المبارك ويُترك للعدو الباغي؟ كما يدعو إلى هدم السدود الوهمية بيننا وبين مقدساتنا، إنها سدود الخور والهزيمة والخنوع، ودعا أيضاً إلى استعادة كرامة الأمة بالجهاد؛ لتتسنم ذرى المجد؛ حيث كانت وحيث ينبغي أن تكون^(١):

أمّي أمةُ المجادةِ ماذا ما عهدناك للخنى والذام؟
أيضياً الأقصى ويُترك في الأغـ لال تترو منه الجراحُ الدوامي؟
حال ما بيننا جدارٌ من الوهـ لم فدكّوا معاقلَ الأوهامِ
واستردوا كرامةً أهدروها واركبوا للمنى متونَ الحمامِ
آن أن تستعيدَ قمتها الروحُ وترقى لفجرها المتسامي
وتقودَ التاريخَ في موكبِ الشمـ سِ وتحظى بالجدِ بين الأنامِ

٥- ويوجه الشاعر كمال رشيد حديثه إلى الفتاة الأسيرة التي لا تنفك تبكي

وتستنجد بأبناء الإسلام العُير؛ فيجيبها الشاعر مطمئناً^(٢):

يا أختِ لا تترمي فغداً نأتيك نحمّل رايةَ النصرِ
فالثورةُ الحمراءُ قد ظهرتْ كالشمسِ تسطع ساعةَ الظهرِ
ثارَ الصغارُ على عدوهمُ وتحمّلوا بالعزمِ والصبرِ
شهباً على أعدائهم نزلوا والعزمُ في جنباتهم يسري

ينظر الشاعر إلى المستقبل نظرة متفائلة واثقة بالنصر من عند الله. ويرى في الانتفاضة إرهابية بالثورة التي سيزغ فجرها مبدداً ظلام الحاضر، ويشيد ببطولة الصغار الذين انطلقوا في همة وعزيمة، كالشهب الساقطة على العدو الطاغى.

(١) هكذا يقول الحجر: ٣٣-٣٤.

(٢) القدس في العيون: ٥٣.

ويسترسل الشاعر في حديثه المتفائل مؤكداً شمولية الانتفاضة وانبثاقها في نواحي البلاد، وفي القدس ونابلس ورفح وفي كل بيت؛ فقد عمّت الثورة الأرض المباركة، ولا عجب في ذلك ((فالبطولة شيمة الحر))^(١):

في غزة السماء كالنسر	في القدس في نابلس في رفح
في القرية العزلاء في الوعر	في كل أرض كل حاضرة
إلا وفيه صرخة الثأر	لم يبق بيت في مرابعنا
إن البطولة شيمة الحر	لا تعجبوا هذي أرومتنا

وفي قصيدة ((أمي تناديني)) للشاعر أبي فراس محمد النطافي^(٢)، يحكي الشاعر عن معاناته بعيداً عن وطنه وأهله، فيستهلّ قصيدته بقوله^(٣):

أمي تناديني وترقبُ عودتي	في صوت كل مبشرٍ ومنادٍ
تجتو على الأبواب تسأل أهلها	عني ومطويّ الجوانح بادٍ

ثم يلجأ إلى أسلوب النداء إلى أمه واثقاً بالعودة إلى بلاده مجاهداً؛ وفي ذلك إثارة واستنهاض لهمم بني قومه؛ ليهبوا لنجدة أهلهم في الأرض السليبية، ويرفعوا رؤوسهم نائرين لكرامة الأمة، كالنسر لا يرضى بما دون القمم.

(١) القدس في العيون: ٥٣.

(٢) أبو فراس محمد ذيب النطافي: ولد في نطاف (من قرى القدس) عام ١٩٤١م تلقى تعليمه في قرية (بيت دقو) وفي (القبية) ثم ارتحل إلى عمان وتخرج من دار المعلمين، ودرس في بيروت والقاهرة، ثم حصل على الدكتوراة في الأدب من جامعة الأزهر، وعمل في الكويت والسعودية والأردن، وله إنتاج في الشعر والنقد والمسرح، (من بطاقة معلومات أولية من رابطة الأدب الإسلامي).

(٣) ديوان الانتفاضة، أحمد موسى الخطيب: ٥٩.

يقول^(١):

لِيَّيْكَ يَا أُمِّي فَإِنِّي عَائِدٌ رَغْمَ الْعَدُوِّ، وَمَنْعَةِ الْأَسْدَادِ
لِيَّيْكَ إِنِّي عَائِدٌ فَتَرْقِي عَوْدِي إِلَيْكَ بُعْدَتِي وَعَتَادِي
وَتَسْمَعِي صَوْتِي يَجِيئُكَ هَاتِفًا أُمِّي أُرَدِّدُهَا مِنَ الْأَكْبَادِ
سَأَعُودُ يَا أُمِّي وَأَهْدِمُ حَاجِزًا بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَامِخَ الْأَطْوَادِ
سَأَعُودُ مَرْفُوعَ الْجَبِينِ كِرَامَةً كَالنَّسْرِ يَطْوِي زُرْقَةَ الْأَبْعَادِ

وفي ختام قصيدته يصف يوم العودة، يوم معركة الثأر، فيقول^(٢):

سَأَعُودُ بَيْنَ مَصْفَحٍ وَمَجْزَرٍ فِي يَوْمٍ كَرَّرْتُمُوجَ جِلَادِ
سَأَعُودُ وَاللَّهْبُ الْمُوجَّجُ فِي دَمِي حُمَمٌ تَدْمُرُ زَمْرَةَ الْأَوْغَادِ
لَا تَحْسِبْنِي غَائِبًا لَا تُرْتَجَى لِي عَوْدَةٌ لِأَحْبَتِي وَبِلَادِي
آتُونَ يَا أُمِّي لَهِيًّا مُحْرَقًا يَكُونِي فَوْادَ الْغَاصِبِ الْجِلَادِ
لَا يَسْتَطِيعُ الْبَطْشُ وَقْفَ تَقْدَمِي مَا دَامَ كَفِّي مُمْسِكًا بِزَنَادِي
إِنِّي عَلَى الْجَبَلِ الْأَشْمَمِ مَنَارَةٌ لِقَوَافِلِ الْأَبْطَالِ وَالْأَسَادِ
فَالْأَرْضُ تَزَارُّ وَالسَّمَاءُ صَوَاعِقُ وَالْبَحْرُ مَلْتَهَبُ الْجَوَانِحِ صَادِ

إنه يوم الأخذ بالثأر من زمرة الأوغاد يوم أن تلتهب حمم الثأر في نفوس الثائرين؛ فتحرق قلوب الغاصبين. ويجعل الشاعر الطبيعة تشاركهم الغضب والثورة؛ فالأرض تزار، والسماء ترسل صواعقها، والبحر ملتهب الجوانح متعطش للثأر.

(١) ديوان الانتفاضة: ٥٩.

(٢) المرجع نفسه: ٦٠.

٧- والشاعر خالد أبو العمرين يعبر عن مدى تفاؤله بالانتفاضة، مؤكداً انبثاق فجر التحرير، محتجاً على الشعارات كلها عدا شعار ((الله أكبر)) الذي حمّله أبطال الأمة الأفذاذ أمثال خالد بن الوليد:

كما عبر الشاعر عن آمنيات شباب الأمة بالشهادة في سبيل الله، يقول^(١):

يا إحقوقي انقشع الضبا	بُ ولاحَ فجرُكمُ الوليدُ
كلُّ السيفِ تكسّرتُ	لم يبقَ إلا ابنُ الوليدُ
طوبى لمن طلب الشها	دَةً في مقارعةِ اليهودِ
من عنده النصر العزيمُ	ز وصاحب البطش الشديدُ
((اللهُ أكبرُ)) في قلوبِ	بِ الشعبِ تقصفُ كالرعودِ
في فتيةِ الإيمانِ لا	خورٌ ولا جنبُ العبيدِ

ويسترسل في وصفه لفتية الإيمان، جند المعركة؛ الراكعين الساجدين الحاملين كتاب الله دستوراً ومنهاجاً^(٢):

الراكعين لربهم	الدائمين له سجودُ
آمنتُ بالقرآنِ دسـ	ـتوراً وهدياً للجنودِ
آمنتُ بالفتحِ المبيدِ	ـن يدك أركانَ الوجودِ
آمنتُ بالفردوسِ دا	ـراً للمجاهدِ والشهيدِ

(١) في القدس قد نطق الحجر: ٥٢.

(٢) في القدس قد نطق الحجر: ٥٢.

ويدعو الشاعر في محتتم مطولته إلى الجهاد دعوة صريحة إلى حرب مقدسة تتحرر من قيود الوهم، ولا تخشى في الله لومة لائم، لتمسح عار الهزيمة والمذلة، وتكون الشرارة والوقود الذي يوقد نار الحرب ويغذيها^(١):

يا قوم حيّ على الجها	دِ فَإِنَّهُ النَّصْرُ الْأَكِيدُ
سنخوضُها حرباً مقدّ	سَةً وَهَزْأُ بِالْقِيُودِ
أنا مسلمٌ أخشى الإلـ	ةَ وَلَا أَخَافُ مِنَ الْعَبِيدِ
فلتنهضوا ولتمسحوا	عَارَ الْمَذَلَّةِ وَالْخُمُودِ
إن لم تقودوا الزحفَ من	يا أخوتي سوف يقود؟
لنكون نحن شرارها	ونكون نحن لها الوقود

٨- ويخاطب الشاعر عبد الرحمن العشماوي أبناء أمته حائثاً على الجهاد حتى النصر، قائلاً^(٢):

يا أمة ما زلت أشدو لها	شدو محبٌ مدنفٍ خاطرٍ
لا تقفي يا أمتي واركي	ظهرَ حصانٍ جامحٍ ثائرٍ
لا تسكني أرض الخنوع التي	ترفع فيها هامةً الفاجرِ

يدعو الشاعر أمته إلى التحرك لتحرير الأرض المقدسة التي تنتظر تخليصها من نير الاحتلال. ويقرن العشماوي ذلك باستدعاء الشخصيات الإسلامية والنظر إليها نظرة وجدانية تستوحي وهج الإيمان والشوق إلى روح التوثب والحمية لدى

(١) في القدس قد نطق الحجر: ٥٢-٥٣.

(٢) شموخ في زمن الانكسار: ١٤٨-١٤٩.

الصحابة الأفاذ من أمثال بلال بن رباح وياسر أبي عمّار، وهما رمز الفداء والتضحية والصمود في سبيل العقيدة. فيقول^(١):

سألتُ أحلامي سؤالاً له طعمُ اللظى في شفةِ الشاعرِ
من أين لي اليومَ بشهمٍ له عزمُ ((بلالٍ)) ورضا ((ياسرٍ))
يا أمةَ الإسلامِ قولي لنا: ((أما لهذا الليل من آخرٍ؟))

٩- ومن ديوان ((الفتية الأبايل)) للشاعر يوسف العظم قصيدة يهديها الشاعر ((إلى الشاخصين الأباة في قطاع غزة)) ويستهلها بقوله^(٢):

مزقيها يا غزوةَ الأحرارِ وارفضي العيشَ في ثيابِ العارِ
ويتابع حديثه المتحدّي - بعد هذا المطلع الثائر - موجّهاً خطابه إلى غزة الأحرار:
وارفعي رايةَ الجهادِ وقولي: قد علتُ همّي وعيل اصطباري
علمتُنا الأيامُ أن التنادي للمنايا يديرُ خيرَ حوارِ
وحديثُ اللسانِ من غيرِ فعلٍ يُلبس الخانعين ثوبَ الصَّغارِ
سوف ألقاهمُ بخير سلاحٍ من صخورٍ تنداحُ أو أحجارِ
ليزول الظلامُ من كل بيتٍ وتشعّ القلوبُ بالأنوارِ

وهكذا تتوالى نداءات الشاعر لغزة الأحرار مهيبة بما إلى رفع راية الجهاد بعد اصطبار على الداء المتمثل في الاحتلال الغاشم. فقد عرفت سبيل الخلاص، إنه الجهاد وحمل السلاح، وكل ما عدا ذلك خنوع وصغار واستسلام. ولا بد أن

(١) شموخ في زمن الإنكسار: ١٤٩.

(٢) الفتية الأبايل: ٢١-٢٤.

يثمر الجهاد ثمرته فتبتدد سحب الظلام لتشع شمس العزة والظفر. قال تعالى:
﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠/٣].

وبعد، فإنه لمن الواضح أن الشعراء عظموا هذه الثورة المباركة تعظيماً كبيراً وربطوا بين هذه الانتفاضة الجهادية وبين المعارك الحاسمة في التاريخ، وهذا التعظيم من ناحية وذلك الربط من ناحية أخرى يعكسان أحاسيس الشعراء بالانتفاضة وهي أحاسيس التفاؤل الغامر بقرب الخلاص من الاحتلال البغيض.

كما أن هذا الطرح القوي للحل الإسلامي المتمثل بالجهاد يجلو دور الإنسان المسلم في العالم؛ فهو نور وضياء لأمة الإسلام وللناس كافة، مهما هاضت جناحيه عهود الضياع والهزيمة؛ لكن روح الوثبة كامن في الأعماق ينادي بعودة الإنسان المسلم لتسلم دوره من جديد، ويستنهض في الأجيال وثبة الإيمان والقيام بأداء الأمانة^(١).

وبعد، فإن شعر الانتفاضة ليستحق أن يفرد له الباحث كتاباً خاصاً؛ فالقول فيها لا ينتهي والحديث عنها لا يُمل، وتصورها محبب إلى النفس؛ فهي إسلامية المبدأ والمسار. ولو حصرنا كل ما قيل فيها ما استطاع له الفرد حصراً؛ ولكن حسبي أن أكون قد وضعت قدمي على أول طريق البحث في هذا الأمر الجلل الذي ابتعث الأمل في النفوس وأعاد إليها الثقة.

وإذا كانت هذه الانتفاضة قد غذت الشعر الإسلامي، فإنها جعلت الشعراء الإسلاميين يفتشون في مخزونها التاريخي عن البداية الصحيحة للفتوح الإسلامية الأولى ويتبعون مسيرتها منهاجاً وعملاً حتى يصلوها بهذه الثورة الإسلامية المباركة.

(١) انظر الإنسان في الأدب الإسلامي، تاصيل وتحليل: ٤١٥.